مصارع الخلفاء

مشاهد رائعة نقلها عن التاريخ

ك . ك

ويا دهر لحاك الله ما هنأت فرحانك

« أبو العلاء »

مصرع الوليد بن يزيد

— ٢ —

خلاعة الوليد واستهتاره

قلنا في الفصل السابق أن أول الاسباب التي تضافرت على اهلاك الوليد ، خلاعته وتفانيه في لهوه ومجونه ، ووعدنا في ختامه بالالمام بطائفة من مخازيه وآثامه وليس يسعنا أن نبر بهذا الوعد ، دون أن نضطر الى ذكر كثير من الاشياء التي ينبو عنها الذوق ، وتأباها الآداب الكريمة ، لهذا تجاوزنا عن كثير من فحشه ، وألممنا بما يمكننا الالمام به من مخزيات — هي على شناعتها — أقل ما اقترفه من الدنايا ، وهي على امعانها في الفجر — أيسر من غيرها وأخف على النفس من سواها

« أبو الوليد »

واذا صدق القائل :

هذي العصا من هذه المعصية لا تلد الحية إلا حية !

فما أصدق هذا القول ، وما أشد انطباعه على الوليد وأبيه ، فقد حدثنا المؤرخون عن نزعة ابيه الى اللهو والقصف ، وشغفه بجبابة المغنية واشتهاره بذكرها بما فيه من الكفاية . قالوا :

كان يزيد ﴿ أبو الوليد ﴾ قد حج أيام سليمان أخيه ، فاشترى « حبابة » بأربعة آلاف دينار . فقال سليمان

« لقد صممت أن أحجر على يزيد ! »

فلما سمع يزيد ، ردها ، فاشتراها رجل من أهل مصر

فلما أفضت الخلافة اليه ، قالت له امرأته « سعدة » :

« هل بقي من الدنيا شيء تتمناه ؟ »

فقال : « نعم ! ، حبابة ! » قالوا :

فارسلت فاشترتها وصنعتها ، وأتت بها يزيد ، وأجلستها من وراء الستر .

فقالت : يا أمير المؤمنين ! أبقي من الدنيا شيء تتمناه ؟ »

قال : « أعلمتك ؟ »

فرفعت الستر وقالت : « هذه حبابة » وقامت وتركتها عنده

فحظيت سعدة عنده وأكرمها !

وقال يوماً وقد طرب بغناء حبابة — :

« دعوني أطيرا » وأهوى ليطير

فقالت يا أمير المؤمنين ان لنافيك حاجة ! فقال : « والله لأطيرن »

فقالت : فعلى من تدع الامة والملك ؟ قال لها : « عليك والله »

وقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول :

سخنت عينيك ما اسخفك ! قالوا :

وخرجت معه الى ناحية الاردن يتنزهان ، فرماها بحبة عنب ، فاستقبلتها بفيها فدخلت حلقها ، فشرقت بها ، ومانت فتركها ثلاثة أيام لا يدفنها ، حتى نتنت ، وهو يشمها وينظر اليها ويبكي ! فلما دفنت بقي بعدها خمسة عشر يوماً ومات ، ودفن الى جانبها !

مؤدب الوليد

قالوا : وكان ة عبد الصمد بن عبد الأعلى ، مؤدباً للوليد ، وكان زنديقاً فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه »

ندمان الوليد

قالوا : ولما ولي الوليد لم يزدد من الذي كان فيه من اللهو والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة الفساق الا تماديا

واذا صدق القائل :

عن المرء لا تسأل ، وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي !

فان ندمان الوليد وخلانه ، كانوا نخبة مختارة من العشاق والمجان والمستهترين بلغوا في العهر غايته ووصلوا في الفجر الى نهايته

أليس من ندمانه ومغنيه وأقرب المقربين اليه ، « ابن عائشة » الذي يجيب بعض سائليه بقوله :

غنيت أمير المؤمنين صوتاً ، فأطربته ، فكفر وترك الصلاة ، وأمرني لي بهذا المال وهذه الكسوة

نعم ، وهو الذي يحدثنا عنه صاحب ستر الوليد فيقول :

إن ابن عائشة غناه ذات يوم

إني رأيت صبيحة النفر حورا نفين عزيمة الصبر
مثل الكواكب في مطالعها بعد العشاء ، وطفن بالبدر
وخرجت أبغي الاجر محتسباً فرجعت موفورا من الوزر

فطرب الوليد وأخذ . الى ان يقول :

ثم اكب الوليد على ابن عائشة المغني ثم لم يبق عضوا من اعضائه الا قبله ! ثم ماذا ؟

ثم بقية هذا الخبر الذي لا يحتمل المقام روايته ، لبذاءته وفحشه !

* * *

وليس ابن عائشة الا واحداً من كثيرين حفلت بهم مجالس الوليد ومغانيه ،

وكان له معهم ما يخجل القلم من ذكره

هذا عمر بن أبي ربيعة يرجع من احد مجالس الوليد ، فيسأل :

« ما الذي كنت تضحك امير المؤمنين به ؟ » فيجيب سائله

« ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا ! »

الحق ان الوليد قد وصل به الاستهتار الى أبعد الغايات ، وطوّح به في مهاوي الغواية حتى تردى في ظلماتها السحيقة .

« الوليد يخطب الناس شعراً وهو سكران »

قالوا : خرج الوليد ، وكان مع اصحابه على شراب ، فقيل له :

« ان اليوم الجمعة ! »

فقال والله لاخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب ، فقال :

الحمد لله وليّ الحمد أحمده في يسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب استعين وهو الذي ليس له قرين
أشهد في الدنيا وما سواها ان لا اله غيره الها
ما ان له في خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه يهتد
وأنه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا وبالكتاب واعظا بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبلُ مشركينا

* * *

من يطع الله ، فقد أصابا أو يعصه ، أو الرسول خابا
ثم القران والهدي السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقي لديكم حي صحيح لا يزال فيكم
انكم من بعد ـ ان تزلوا عن قصده أو نهجه ، تضلوا
لا تتركن نصحي فإني ناصح ان الطريق فاعلمنّ واضح

من يتق الله يجد غب التقى بوم الحساب سائراً الى الهدى
ان التقى أفضل شيء في العمل أرى جماع البر فيه قد دخل

الى آخر هذه الخطبة المضحكة !

ومن نوادره الطريفة ، ماحدث له مع الوليد البندار الذي يحدثنا فيقول :

حججت مع الوليد بن يزيد ، فقلت له لما أراد أن يخطب الناس :

«أيها الامير :

ان اليوم يوم يشهده الناس من الآفاق وأريد أن يشرفني بشيء ! »

قال : « وماهو ؟ »

قلت : » اذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك ، وبأنك اسررت الي شيئاً !»

فقال : « افعل ! » فلما جلس على المنبر قال :

« الوليد البندار ! » فقمت اليه ، فقال :

« ادنُ مني » فدنوت . فأخذ باذني ثم قال :

« البندار ولد زنا ، والوليد ولد زنا ، وكل من ترى من حولنا ولد زنا أفهمت ؟ »

قلت : « نعم » قال : « انزل الآن ! « فنزلت ! »

ميله الى مذهب مانى (١)

وقد عزا اليه بعض المؤرخين ميله الى الأخذ بالمذهب المانوي وروى «ابن القارح»

---

(١) « مانى » هو زعيم المذهب المانوى ومؤسسه .

ظهر فى أيام سابور بن اردشير ، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور سنة ٢٧٧ وهو يزعم أن العالم مصنوع من أصلين قديمين ، هما النور والظلمة وانهما أزليان سرمديان ، وانه مامن شيء الا وهو من أصل قديم ، وان الخير كله من النور ، والشر كله من الظلمة.

وقد أشار المتنبي الى ذلك في قوله يمدح كافور الاخشيدى :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن « المانوية » تكذب
وقالك ردى الاعداء تسرى اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب

أن الوليد أحضر ذات يوم صورة رجل فسجد له وقبله ، وقال لبعض الناس : اسجد له يا علج

فقال : « ومن هذا ؟ »

قال : هذا « مثلي » شأنه كان عظيما ، اضمحل أمره لطول المدة »

فقال : « لا يجوز السجود الا لله ! » فقال : « قم عنا »

قال ابن القارح : وكان يشرب على سطح ، وبين يديه باطية كبيرة بلور ، وفيها أقداح ، فقال لندمائه :

« أين القمر الليلة ؟ » فقال بعضهم : « في الباطية »

فقال : « صدقت ! ، أتيت على مافي نفسي ، والله لأشربن الختمجة (١)

وكان بموضع حول دمشق : يقال له « البحر » فقال :

« تلعب بالنبوة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب »

فقتل به ورأوا رأسه في الباطية التي أراد أن يفتتح بها »

« كلمة ختامية »

ونذكر قبل أن نختم هذا الفصل ، كلمة أبي العلاء التي أوجز بها رأيه في الوليد وهي قوله (٢) :

« وأما الوليد بن يزيد ، فكان عقله عقد وليد ، وقد بلغ سن الكهل ، وقد رويت له أشعار يلحق به منها العار ، كقوله :

أدنيا مني خليلي « عبدلا » دون الازار
فلقد أيقنت أني غير مبعوث لنار
واتركا من يطلب الجنـ ـة ، يسعى في خسار
سأروض الناس حتى يركبوا دين الحمار

فالعجب لزمان صير مثله إماماً !

ولعل مثله ـ ممن ملك ـ يعتقد مثله أو قريباً ، ولكن يسابر ويخاف تغريباً

(١) شرب الخمر سبعة أكاسيع متتالية

(٢) رسالة الغفران ج ٢ ص ٤٤

ومما يروى له قوله :

أنا الامام الوليد مفتخراً أجرّ بردي وأسمع الغزلا
ما العيش الا سماع محسنة وقهوة تترك الفتى ثملا
أسحب ذيلي الى منازلها ولا أبالي من لام أو عذلا
لا أرتجي الحور في الجنان ، وهل يأمل حور الجنان من عقلا
اذا حبتك الوصال غانية فجازها بذلها كمن وصلا

من شعر مظفر بن ابراهيم الاعمى

قالوا عشقتَ وأنت أعمى ظبياً كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها وتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنام فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤاد وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيتَ جماله حتى كساك هواه سقما
وبأيّ جارحة وصلتَ لوصفه نثراً ونظما
والعين داعية الهوى وبه يتم اذا استتما
فأجبتُ اني موسويّ العشق أنصاتاً وفهما
أهوى بجارحة السماع ولا أرى ذات المسمّى

ان هواك الذي بقلبي صيّرني سامعاً مطيعا
أخذت قلبي وغمض عيني سلبتني العقل والهجوعا
خدع فؤادي وخذ رقادي فقال لا بل هما جميعا